تاريخ الاستلام: 2017/09/12- تاريخ التحكيم: 2018/05/13 -تاريخ النشر2018/06/30

ملامح الفكر الديني الوثني وطقوسه في بلاد المغرب القديم

د. عولمي الربيع

جامعة باتنة -1- الجزائر

ملخص:

يعالج هذا البحث جذور المعتقدات والمعبودات الوثنية وطقوسها في بلاد المغرب القديم قبل ظهور المسيحية. منها معبودات وآلهة محلية ومعبودات أجنبية وافدة إلى بلاد المغرب القديم: كالمعبودات الفينيقية-البونية والمصرية والمعبودات الإغريقية والرومانية. تلك المعتقدات التي كانت انعكاسا لنظرة الإنسان المغاربي القديم للكون والحياة بمختلف مكوناتها المادية والمعنوية. ولازالت بعض الطقوس يزاولها الكثير من المغاربة حتى اليوم. وهي عبارة عن طقوس آلية، يباشرها إما الأفراد الذين لا يبحثون عن تحقيق منفعة شخصية، وإما مجموعات تعمل لتحقيق مصلحة الجماعة، دون حاجة إلى كاهن ولا إلى الاجتماع في معبد. وقد ظهرت دراسات عديدة تناولت هذا الموضوع، شرع في استجلائها وتوضيحها في مطلع القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: الطقوس، المعتقدات الوثنية، الفكر الديني الوثني، المغرب القديم، المعبودات الوثنية الأجنبية الوافدة.

Résumé :

Cet article traite l'origine des divinités et croyances païennes et ses rites, dans le Maghreb antique avant l'apparition du christianisme. Ces croyances étaient le reflet de la vision de l'homme Maghrébin sur l'univers, et la vie dans toutes ses composantes matérielles et morales.

Ces croyances sont liées à des rites qu'un grand nombre de Berbères s'adonnent encore à des pratiques d'origine magique, ou mécaniques qui, pour produire les résultats souhaités, les imitent ou les amorcent.

Ces rites sont mis en œuvre soit par des individus, ne cherchant que leur intérêt personnel, soit par des groupes qui agissent collectivement pour le bien de la communauté, d'ordinaire sans secourir à des prêtres, ni s'assembler dans des sanctuaires. Il y a là un vaste champ d'études, qui commence à peine à être déchiffré par des travaux remarquables qui se poursuit encore, mais qui présente de grandes difficultés.

Mots clés : rites, croyances païennes, Maghreb antique, pensée religieuse païenne, divinités étrangères

.

مقدمـــة: لعل أهم ما يميز المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب القديم قبل ظهور المسيحية هي أنها كانت انعكاسا لنظرة الإنسان المغاربي القديم للكون والحياة بمختلف مكوناتها المادية والمعنوية. ولما كان من الصعب على إنسان تلك الفترة أن ينظر بشمولية للكون والحياة وظواهرها، فقد ذهب به تصوره إلى الاعتقاد في وجود قوى خفية تتحكم في هذه الظواهر، تمنحه إن رضيت عنه وتحرمه إن غضبت منه. تحميه إن استعطفها وتتخلى عنه إن أمسك عن استرضائها. وهكذا جعل لتلك القوى آلهة، ورتبها حسب أهميتها وعلاقتها ببعضها. من هذا المنطلق يعالج هذا البحث المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب القديم قبل ظهور المسيحية، ومدى تأثر هذه المعتقدات بالمؤثرات الخارجية.

أولا: الممارسات الطقوسية في المغرب القديم: مارس سكان المغرب القديم طقوسا ذات أصل سحري، ولازالت هذه الممارسات يزاولها الكثير من السكان حتى اليوم. وهي عبارة عن طقوس آلية، وكان السكان يثيرونها أو يقلدونها لتعطي النتائج المرجوة. ويباشر هذه الطقوس إما الأفراد الذين لا يبحثون عن تحقيق منفعة شخصية لهم، وإما مجموعات تعمل جماعيا لتحقيق مصلحة الجماعة، دون حاجة إلى كاهن ولا إلى الاجتماع في معبد. وقد انكبت دراسات عديدة على استجلاء هذا الموضوع في مطلع القرن العشرين. كتلك الدراسات والبحوث العلمية المتميزة التي أنجزها الباحثون: أ.دوتي (Doutté E., 1909) ووليام مرسي (Marçais W., 1925)، وبل (Bel, 1905: 49-98)، وديستان (Destaing, 1905: 56-70)، ولاووست (Laoust E. 1920: 204)، والعالم الفنلندي وسترمارك (Westermarck M. 1913)، هذه الأعمال كلها تمثل أولى الجهود والأبحاث الهامة عن ديانة المغاربة القدماء.

يواجه الباحث في مجال الدراسات الدينية مصاعب جمة، ذلك أن المراقبة الدقيقة للأحداث توجب التعود على عادات الأهالي وعلى لغتهم. إذ نجد أن بعض الطقوس ذات الأصول المشتركة، قد تتغير حسب المكان إلى دلالات مختلفة. بينما نجد طقوسا أخرى التي كانت في أول الأمر مستقلة، قد اقترب بعضها من بعض، أو تشابكت فيما بينها، من ذلك مثلا: أفراح الكارنفال ونيران المباهج والفرحة (*feux de joie*)، والعمليات التي يراد منها التطهر، والطقوس الزراعية أو الشمسية.

1-الطقوس الزراعية: تكاد تكون معارفنا المتعلقة بطقوس قطعان الماشية واستخدام منتجاتها في المغرب القديم محدودة لحد الآن. أما الطقوس المتعلقة بالحبوب الزراعية فكثيرة ومتنوعة، وهي تقام عند الحرث وعند البذر، وفي الحصاد، وعند الدرس. وفي هذا المجال، فإذا كانت الأمطار ضرورية للمحاصيل الزراعية، فهي أمطار كثيرا ما ترجى تحت السماء الإفريقية. وقد عرفت مناطق كثيرة من المغرب القديم طقوسا بمناسبة الانقلاب الصيفي، والتي تصاحبها نيران المباهج. (Basset H. 1922: 139-160)

وإذا حدث جفاف لمدة طويلة، فهناك طقوس أخرى منها مثلا: الاستحمام أأو الطواف بملعقة كبيرة من خشب تسمى (غنجة أو *بوغنجة Ghonja*). والراجح أن هذه الملعقة كانت في الأصل مجرد بديل سحري عن الأرض الظمأى، ولكنها بعد تطور الطقوس في فترة لاحقة، تحولت إلى شخص يدعى " خطيبة *أنزار Fiancée D'anzar* ". (Gsell S. 1927: 121.)

يبدو أن الإنسان المغاربي القديم كان يتعامل مع فكرة الطقوس الخاصة باستدرار المطر والمعتقدات التي تدور حولها من حيث غضب الآلهة وعقابها لعبادها بالجفاف. وفي هذا السياق يذكر هيرودوت: « أن قبائل النسامون (*Nasamons*) عندما يعقدون المواثيق فإنهم يعقدونها بتبادل شرب الماء في راحة اليد، وإذا لم يجدوا شيئا من السوائل فإنهم يلتقطون بعض التراب من الأرض ويلعقونه. » (Herodotus, IV, 172)

ويشير هيرودوت في مقام آخر:« أن قبائل الماشلي (*Machlyes*) وقبائل الأوسيس (*Auses*) (Gsell S., 1955: 139.) الليبية (اللوبية)، كانت تقيم حفلا سنويا بجوار بحيرة تريتونيس " شط الجريد" حاليا، (*Lac Tritonis*) (Gsell S., 1913: 32.) على شرف الإلهة أثينا (أعشي، م. 2009: 26) (*Athéna*) حيث تلتقي فتيات القبيلتين العذارى، فينقسمن إلى فريقين ويدخلن في معركة عنيفة بالحجارة والعصي، وإذا حدث أن إحدى الفتيات ماتت متأثرة بجراحها خلال الصراع، فان ذلك دليل على أنها عذراء مزيفة، ثم يتوقف القتال ويقوم كل فريق باختيار أجمل فتاة، فتتزين بلباس إغريقي وخوذة كورنثية، ليطاف بها على عربة في موكب احتفالي حول البحيرة – وهي في كامل زينتها –معتقدين بأنها تمثل الإلهة أثينا. » (Herodotus, IV, 180.)

يتضح مما سبق أن الحفلات التي تقيمها قبائل الماشلي والأوسيس كانت تشمل عدة أنشطة ورموز مرتبطة بالجفاف وحاجة الإنسان إلى المطر. لكن غياب الوثائق المادية والكتابية تحول دون معرفة حقيقة هذه الطقوس وتاريخها ومدى أصالتها في المغرب القديم. إلا أنه من المؤكد أن هذه الاحتفالات لازالت تقام حديثا في بعض المناطق في ليبيا.

2**–طقوس عبادة الإنسان** (*Anthropolâtrie*): كانت عبادة الإنسان مهيمنة في بلاد المغرب القديم، إذ يعتقد المغاربة أن للأولياء قوة مقدسة تجعلهم فوق غيرهم من الناس، وهذه القوة تجعل لهم تأثيرا يحدث مفعوله عند لمسهم بل وعند الاقتراب منهم. وقد مارس سكان المغرب القديم عبادة الإنسان، لكنها كانت عبادة للملوك خاصة. فقد حظي بعض الملوك بمكانة متميزة، ونستشف ذلك من النقوش والعمارة الجنائزية وكتابات المؤرخين القدامى والمحدثين.

تباينت آراء المؤرخين حول هذا الموضوع، وتعود أولى الإشارات إلى عبادة الملوك في شمال إفريقيا للقرن الثالث قبل الميلاد، فقد عثر في نقيشة دوقة الثانية (عيساوي، م. 2009، 152) على نص إهدائي بالقرب من الضريح الذي شيد له في السنة العاشرة من حكم الملك "مسيبسا" أو "مكيبسا" (*Micipsa*) ابن الملك "ماسينيسا"

(*Massinissa*) وقد كتب باللغتين الليبية والبونية. (Chabot L. 1918: 208) وقد استند بعض المؤرخين أمثال ج. ش. بيكار (Picard G.Ch. 1954 : 17) وستيفان غزال (Gsell, S.,1927: 130-131) في دراستهما لهذه النقيشة، لإثبات أن النوميد كانوا يؤلهون الملك ماسينيسا.

وعلى العكس من ذلك يرى م. ح. فنطر ودوكريه (Decret F. & Fantar M. 1981: 257) أنه لا يوجد في النص ما يشير إلى عبادة النوميديين للملك ماسينيسا، فالنص يعطيه لقب ملك فقط، وهو ما أشير إليه في النص البوني بـ « هـ م م ل ك ت » (أي الملك)، وفي النص اللوبي « ج ل د » (GLD) أي الحاكم الذي له صبغة عسكرية.

ولنا أن نتساءل في هذا الصدد: هل كان ملوك نوميديا وموريطانيا يعبدون في حياتهم كالفراعنة؟ ليست لدينا أية أدلة تسمح لنا بتأكيد تلك العبادة، سوى إهداء عثر عليه في شرشال موجه إلى:

(Geni (o) Regis Pto (lemaei), Regis (Jubae) F (ilii)) (C.I.L., VIII, 9342)

نلاحظ أن هذا النقش مهدى إلى جني الملك بطليموس ابن الملك يوبا الثاني (أي إلى روحه أو عبقريته) لا إلى الملك نفسه الذي يمجد كمعبود. (Gaffiot F. 1936: 273)

يتضح مما سبق أن الملك بالنسبة لسكان المغرب القديم، كان قبل كل شيء قائدا حربيا، يتحكم بصفة أو بأخرى في مجموعة من القبائل بفرض سيطرته الكاملة.

3–طقوس عبادة الأموات: تتضح عبادة الأموات في الطقوس الجنائزية أي كل ما له علاقة بالأموات من حيث طرق الدفن وكيفياته ووضعياته، إلى جانب الأثاث الجنائزي ومكانة الأموات والنظرة إليهم، وكل الأعمال التي يقوم بها الأحياء عن قصد، والتي تدل على أنهم يميزون من خلالها بين الميت وبقية الحيوانات. (Camps G. 1961: 461)

وعن طرق الدفن التي اتبعها الليبيون القدماء يقول هيرودوت: «كان الليبيون الرحل يدفنون موتاهم على نحو ما يفعل الإغريق، باستثناء الناسامون (*Nasamons*) الذين يدفنون موتاهم في وضعية الجلوس، ولذلك فهم يحرصون على أن يكون الشخص جالسا عندما يسلم روحه، ومنعه من أن يموت ممددا على ظهره .» (Herodotus, IV, 190)

نستنتج من نص هيرودوت أن الليبيين الرحل كانوا يضعون الجثمان في اللحد ممدودا من الشرق إلى الغرب أو بالعكس كالإغريق. أما قبائل الناسامون فكانوا يوارون الجثة وهي في وضع الجلوس، ولذلك فإن أصدقاء المحتضر كانوا يساعدونه أثناء الاحتضار على البقاء جالسا حتى يفارق الحياة. ويشير سيليوس إيطاليكوس أن الناسامون كانوا أيضا يتخلصون من موتاهم بإلقائهم في البحر، (Silius Italicus, 1836-1838, II)، كما يذكر كل من بلين

القديم وأوريليوس فيكتور في إشارة إلى قبائل الغرامنت (*Garamantes*) (Aurélius Victor, 1816 : I, 7) أن تلك القبائل كانت تدفن موتاهم في حفر رملية قليلة العمق. (Pline l'Ancien, VIII, 142)

ويتضح ذلك من خلال بعض الممارسات التي ذكرها الكتاب القدامى والمحدثين أو التي نستشفها من النقوش والعمارة الجنائزية، والتي تبرز المكانة التي كان يتمتع بها هؤلاء، فعملية الدفن وما يرتبط بها من طقوس تعتبر تقديرا لهؤلاء الأموات، ونوع من الخضوع لهم والحفاظ على تلك الصلة التي تربطهم بهم.

4-طقوس عبادة قوى الطبيعة: تعتبر عبادة المظاهر الطبيعية ظاهرة عالمية، حيث انتشرت عند مختلف الشعوب منذ فترة ما قبل التاريخ. وسكان المغرب القديم كغيرهم من الشعوب في مراحل تاريخهم البدائي، -وفي مثل البيئة التي عاشوا فيها كصيادين ورعاة ومزارعين -كان من الطبيعي أن يعبدوا ويقدسوا مظاهر الطبيعة المحيطة بهم: كالشمس والقمر والحجارة والجبال والأشجار والسحب والآبار والعواصف وغيرها. وكل هذه الظواهر كانت عندهم منازل للأرواح، فكان من الطبيعي وفي بيئتهم تلك أن يهتموا بها.

وقد تعددت آراء المؤرخين حول دوافع الإنسان لتقديس قوى الطبيعة المختلفة في العصور القديمة، ورغم اتساع انتشارها في المغرب القديم إلا أن لها أسباب مشتركة في الديانات البدائية القديمة.

وقد جاءت أول إشارة عن انتشار عبادة الشمس والقمر بين الليبيين في القرن الخامس ق.م عند المؤرخ الإغريقي هيرودوت إذ قال: «وهم لا يقدمون القرابين إلا للشمس والقمر. وكل الليبيين يقدمون لهما القرابين، غير أن القاطنين حول بحيرة تريتونيس (أي قبائل النسامون- *Nasamons*) الذين يستقرون حول بحيرة تريتونيس (*Tritonis*) كانوا يقدمون القرابين لأثينا و تريتون وبوسيدون، وأما الرحل فلم يكونوا يقدمون القرابين إلا لهما.» (Herodotus, IV, 188)

5-طقوس العبادة الطوطمية: Totémisme كان المغاربة القدماء منذ العصور الحجرية يعتقدون أن التمائم تضمن لهم الحماية إما من جني (*Génie*) أو من أحد الآلهة الذي يضع في التميمة جزءا صغيرا من قدرته بطرق مختلفة. ولكن كانت في المعتقدات البدائية، عبارة عن قوة غامضة تتركز فيها، أو كانت عبارة عن تيار مغناطيسي أو تأثير سحري متناثر عبر العالم. (Gsell S. 1913:105)

وقد يكون هذا التيار الكامن هو الذي يكسبهم قدرة خاصة، والتي يمكن أن نخاف منها كثيرا. ويمكن أن نحاول التأثير فيهم بوسائل الضغط والإكراه التي يوفرها السحر. ولكن هناك حيوانات، كانت منذ عهود بعيدة، قد اختيرت من بين نوع بعينه، وأنها تبعا لعلامات خاصة، كانت تقدس من طرف السكان، ومنها الكبش.

أ-عبادة الكبش: لقد أظهرت الرسوم الصخرية التي يعود تاريخها إلى الألف الثانية قبل الميلاد كبشا تحيط بعنقه قلادة، (Gennep V., 21-25) وعلى رأسه شيء ضخم مستدير الشكل يشبه الكرة أو القرص،

(Flamand G. 1921: 65-66) يثبتها على ما يبدو رباط يمر تحت حنكه. (Gsell S. 1913:252) وعثر على رسوم مماثلة لتلك التي وجدت في الجنوب الوهراني، في عدة مناطق من الجنوب الجزائري، (Gsell S. 1914:444) وعلى البعض الآخر شرق قسنطينة. (Bosco J., Solignac M. 1911:342) وهذا ما يؤكد رسوم مماثلة لتلك التي وجدت في الجنوب الوهراني سعة انتشار عبادة الكبش في المغرب القديم. أما أن تكون هذه العبادة قد أقيمت أمام هذه الرسوم التي وجدت على الصخور فهذا ما يدعو إلى الشك والريبة.

ب–عبادة الثور: تعود بدايات عبادة الثور إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث يبدو أنه كان مقدسا من طرف المغاربة القدماء كما تبينه رسوم الثيران التي وجدت بشكلين: الأول رسوم بسيطة بدون لواحق، والتي عثر عليها في تازروك (*Tazerouk*) وسيلات (*Silet*) بالهوقار (*Hoggar*) في الجنوب الجزائري. (Leglay M. 1966:423)

ج–عبادة القردة: عبد الليبيون حيوانات أخرى كانت محل تقديس حيث كانوا ينظرون إليها على أنها آلهة، ومن هذه الحيوانات القردة. كانت هذه العبادة منتشرة في مناطق كثيرة من بلاد المغرب القديم، فقد ذكر ديودور الصقلي أن عبادة القردة كانت منتشرة في المنطقة الممتدة إلى الغرب من قرطاجة. (Diodore de Sicile, XX, 58) تعددت مظاهر تقديس القردة، فمنهم من يختار لأبنائه أسماء مأخوذة من أسماء القردة، وهناك مدن تحمل أسماء قردة باللغة اللاتينية، ومنهم من كان يأويها في مساكنهم ويقدم لها الأطعمة، وقد يعاقب من قتل قردا بالموت. (Gsell S.1927: 245) ورغم تعدد مظاهر تقديس القردة، إلا أن هيرودوت يذكر أن قبائل "الجيزانت" (*Gyzantes*) سكان ليبيا الغربية (أي تونس حاليا) كانوا يأكلون القردة المتوفرة بكثرة في جبالهم. (Herodotus, IV, 194)، ويؤكد أوريك بيتس ذلك في مطلع القرن العشرين. (Bates O. 1914:54)

كما قدس المغاربة القدماء الأسد الذي وجدت صوره في الرسوم والنقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي والشرق القسنطيني. وزينت العديد من الأضرحة الملكية بصور الأسد مثل الضريح الملكي الموريطاني بتيبازة، وضريح دوقة (*Dougga*) بتونس. (Camps G. 1980:206) علاوة على ذلك حظي الثعبان بالعناية والعبادة من طرف المغاربة القدماء منذ أقدم العصور. ويشير س. غزال في هذا الصدد أن قبائل "البسيل" (*Psylles*) عقدوا تحالفا خاصا مع نوع من الأفاعي ذات القرون تعرف باسم "السيراست"(*Cérastes*) (Silius Italicus, III, 300-309) وهي عدوة لبقية القبائل الليبية، فقبائل البسيل غير حساسة للدغاتها. (Gsell S. 1913:246-274)

نستنتج مما سبق أن هذه المعتقدات الوثنية راسخة في تقاليد سكان المغرب القديم، والتي تسمح للقبائل الليبية أن تعقد تحالفا مع الأفاعي، وأنها لا تتأثر بلدغاتها، واستعمالها في إثبات صحة نسب الطفل إلى والديه. اعتقد أن تلك الممارسات إما أنها مجرد صدفة، أو هي ضرب من السحر والشعوذة.

ثانيا: المعبودات والآلهة المحلية في المغرب القديم: لا تزال معرفة المؤرخين بالآلهة المحلية في المغرب القديم محدودة. فهي ليس لها صور، وعبادها كانوا غير قادرين أو أنهم لم يكونوا يريدون أن يتركوا حججا مكتوبة بتعبدهم لها. (Toutain, J. 1920: 37).

1– الآلهة المحلية والاعتقاد بالجن : عبد المغاربة القدماء آلهة كانت منتشرة في جميع أنحاء المغرب القديم. وتتجه هذه العبادة إلى الآلهة المورية (*Maurici, Dii Mauri*)، أو إلى أحد آلهة الموريين (*Numen Maurorum*)، وإلى آلهة الجيتوليين (*Dii Gaetulorum*) وإلى آلهة مورية (*Dea Maura*)، وإلى آلهات إفريقيا (*Matres Afrae*) وآلهات ليبيا (*Matronae Libycae*). (Cagnat R. 1903 :145).

وتحمل بعض الكتابات والنقوش باللغة اللاتينية أسماء مجردة لآلهة، ومنها: خمسة آلهة أقيم لها هيكل في "ماجيفا (*Magifa*) في منطقة تبسة وهي: ماسيدنيس (*Masidenis*)، وثيليلواي (*Thililvae*)، وسوغانيس (*Sugganis*)، ويسدانيس (*Iesdanis*)، وماسيديس (*Masiddice*)، (كل هذه الأسماء ذكرت بصيغة الإضافة *Génétif*)، ومثامواديس (*Mathamodis*) في منطقة الكاف في تونس، ومونايي (*Monnae*) من عين تونغا (*Ain-Tounga*)، و إيوكولوني (*Iocoloni*)، وهاوس (*Haos*)من منطقة سيدي يوسف، وكاليماس (*Chalimace*) أو كاليماج (*Chalimage*)، وداميوني (*Damioni*)، وليليو (*Lilléo*) من مادور (*Madaure*) "مداوروش قرب قالمة "، (Gsell S.1927: 137) وكيلينو (*Cilleno*)، ومونتيو (*Montio*) من تيمقاد، ومومانيو (*Momanio*) من لامباز (تازولت)، وأوليسفايي (*Aulilsvae*) من تلمسان. (Vars M. 1901: 264) وتدل أسماء هذه المعبودات على أنها ليست رومانية، كما أنها ليست جميعها إفريقية. ربما أن جلها جاء به بعض المغاربة القادمين من مناطق أخرى، وبخاصة أولئك الذين خدموا في الجيش الروماني.

يتضح مما سبق، أن سكان المغرب القديم، كانوا يعتقدون خلال الفترة الرومانية، أن تعبدهم في مناطق مرتفعة أو في باطن الأرض كان يقربهم إلى الله أكثر، وكانوا يعتقدون أيضا أن لكل مكان له مستجنه.

2– عبادة المياه : كانت منابع المياه عند المغاربة القدماء موضوع عبادة خاصة، نظرا لأهمية المياه بالنسبة للإنسان والنبات والحيوان. وازدادت أهميتها خاصة في شمال إفريقيا، حيث يتميز مناخها بالجفاف وندرة المياه خاصة

في فصل الصيف، مما أعطاها مكانة مقدسة منذ أقدم العصور. لذلك عبر الإنسان المغاربي القديم عن حاجته إلى الماء باستدرار المطر بطرق مختلفة، وقدم الكثير من الابتهالات والتضرع إلى "جن المياه".

إن دور الآبار المقدسة حاليا في بعض مناطق شمال إفريقيا، لدليل واضح على اهتمام ديني قديم، مما دفع الأفارقة عبر مختلف العصور نحو "عبادة استدرار المطر". (Leglay M. 1966:421)

فقد ذكرت عدة نقوش عبادة المياه من طرف المغاربة القدماء، ومن المحتمل أن تكون تحت تأثيرات رومانية، وذكرتها بصيغة "الجن" (*Genius*)، وقد عثر على إهداء في السيف (*Sig*) موجه إلى جن النهر (*Genio Fluminis*). وفي منبع بومرزوق قرب سيلا القديمة، عثر على نقش يذكر جن لامصاقا (*Génie de l'Amsaga*) وإهداء إلى جن المنبع (*Genio Fontis*) موجه إلى جوبيتر (*Jupiter*) بمنبع" القائد" بالقرب من باتنة. (C.I.L., VIII, 4291)

وقد تمكن الرومان من رومنة بعض المعبودات المحلية، من ذلك أن ج.ش. بيكار عثر في قلعة مسعد (*Castellum Dimidi*) على دمية تشخص "بوغنجة" وأسطورة استدرار المطر ببئر يوجد في أسفله بناء خاص بالتعبد (*Praetorium*) لجيش المعسكر الروماني، كما يوجد به محراب يغطي البئر العتيقة. (Picard G.Ch., 1975: 28-36)

3- عبادة الجبال والصخور : إلى جانب المياه، كانت الجبال والصخور العبادة الطبيعية الأولى في المغرب القديم. ويعود تقديسها من طرف المغاربة القدماء، لأنها كانت –حسب اعتقادهم–تمثل مساكن الآلهة. (Leglay M. 1966:420)

ويذكر هيرودوت:« أن الليبيين في زمانه كانوا ينعتون جبال الأطلس (*Atlas*) بـ "عمود السماء" (*la colonne du ciel*)، لأنها كانت ذات شكل دقيق ودائرية من جميع الجهات. وأنها شديدة الارتفاع، لدرجة أنه يقال من الصعوبة رؤية قممها. ولأن السحب كانت تغطيها خلال فصل الصيف أو فصل الشتاء.» (Hérodotus, IV, 184)

ويشير بلين القديم إلى: « أن جبال الأطلس ترتفع وسط رمال الصحراء نحو السماء، غاباتها غنية بالثمار من كل نوع، التي تنمو تلقائيا، والتي تستطيع إشباع كل الأذواق، والمنابع تتدفق منها من كل جانب، فخلال النهار لا ترى فيها أي ساكن، يسودها هدوء الصحاري الذي يبعث على الشك، وتنتاب خشية دينية أولئك الذين يقتربون منه، خاصة قمته التي تتجاوز السحب والتي يبدو أنها مجاورة لقرص القمر.» (Pline l'Ancien, I, 1, 6)

توحي النصوص السابقة، أن جبال الأطلس إضافة إلى تقديسها، فقد كانت محل احترام الليبيين من الأطلنتيين أو الأطلسيين، نتيجة شدة ارتفاعها الذي يصعب معه رؤية قممها. واعتقادهم أنها مساكن الآلهة.

4- عبادة الكهوف والمغارات : يبدو أن المغاربة القدماء كانوا قد قدسوا الكهوف والمغارات حسب ما ذكره سيناك (*Sénèque*) (Sénèque 1861 : XLI)، مع غياب إثبات وجود إله الكهوف حاليا. إلا أن ماسكوري (*Masqueray*) أكد أن "إفري" (*Ifri*) أو "إفرو" (*Ifrou*) هي تسميات محلية لإله الكهوف. (Masqueray E. 1879 :481) واعتمادا على الدراسات التي قام بها س. غزال (*S.Gsell*) وهنري باسي (*H. Basset*) حول النقوش الليبية في بلاد المغرب القديم، قد يكون اسم إفريقيا (*Africa*) الذي ظهر خلال الفترة الرومانية مأخوذا من هذه التسمية المحلية، ثم عمم مدلول هذا الاسم ليطلق فيما بعد على القارة الإفريقية بأكملها. (Gsell S.1913 :256) ويعتبر الإله "باكاكس" (*Bacax*) من بين المعبودات الوثنية الليبية الأكثر شهرة والتي ذكرها الكتاب الأفارقة. وتشير النقوش التي وجدت على جدران كهف بالقرب من تيبيليس (*Thibilis*) "عنونة" قرب قالمة حاليا أنه اتخذ كمكان لعبادة الإله "باكاكس". (Basset R. 1910: 7-8)

ثالثا: المعبودات الوثنية الأجنبية الوافدة إلى بلاد المغرب القديم: كان الشعور الديني عند المغاربة القدماء قويا، إلا أن مكلة الابتكار عندهم كانت محدودة، لذلك استعاروا بعض الآلهة التي عبدوها. وبما أن القبائل الليبية كانت تتوضع فيما بين وادي النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا حسب ما ذكره هيرودوت. (Hérodotus, II, 16) فقد تأثر الليبيون بحكم الجوار بالأمم المتطورة فكريا وماديا كالفينيقيين والمصريين، لذلك اقتبسوا عنهم بعض طقوسهم الدينية. (Mercier G., s.d. :178.)

1-المعبودات المصرية:

أ-الإله آمون: أخذ الليبيون عن المصريين عبادة آمون (*Amon*) أو أمّون (*Ammon*) معبود واحة سيوة (*Siwa*) بغرب مصر. (هيرودوت، 1966: 93، 111) وفي عهد الدولة الوسطى عندما أصبحت مدينة طيبة (*Thèbes*) عاصمة للدولة أصبح إلهها المحلي إلها رسميا للدولة. (فرح، ن. 1972: 113) أما كون آمون في شكله الأولي كان إله كبش قد انتقل من ليبيا إلى طيبة في العصر القديم، والقول بأن آمون *Ammon* كان في اللغة الليبية هو اسم كبش، (Gsell S. 1913 : 252) فهذا قول يمكن قبوله لكن بكثير من التحفظ والحذر.

ويذكر سيليوس إيطاليكوس (*Silius Italicus*) في هذا الصدد، وهو يصف معركة بحرية بين القرطاجيين وأعدائهم، أن قبطان إحدى السفن القرطاجية عندما رأى سفينته قد غرقت أخذ سكينه وطعن به نفسه، وقدم دمه قربانا بسكبه بين قرني الكبش المقدس على مقدم سفينته. (Silius, Italicus, XIV)

ب-الإلهة حتحور: كان التأثير المصري في ديانة الليبيين واضحا، فالإلهة "حتحور" (*Hathor*) كانت أكثر الآلهة المصرية شيوعا، فهي أصل الإله الثور المغاربي المقدس في المنطقة الشرقية من ليبيا. (Gautier E. 2011: 32) وكانت تتمتع بخصائص مميزة فهي الآلهة الأم، وهي عين الإله "رع" (*Ré*) ومن وظائفها أنها إلهة الموتى، لاسيما

في مدينة طيبة المصرية، قد تنزل الدمار بالأعداء، وتظهر هذه الآلهة في شكل امرأة لها قرون بقرة تعلوها قرص الشمس، وقد تظهر في شكل بقرة. وجدت لها رسوم على فصوص جعالين أو على الجص، عثر عليها في عدة مواقع ساحلية من بلاد المغرب القديم خاصة في قرطاجة، وشرشال، وليكسوس. (هورنوج، أ.، 278.)

ج–الإلهة إيزيس: تعتبر الإلهة "إيزيس" (*Isis*) من الآلهة المصرية التي قدسها الليبيون، وهي أخت وزوجة الإله "أوزيريس" (*Osiris*) التي حمته من أخطار كثيرة بوصفها الإلهة الساحرة، والتي صورت في أشكال عديدة منها صورة البقرة. لقد استعار الفينيقيون من الديانة المصرية أسماء آلهة ذات الاستعمال الأكثر في فينيقيا. وكان الآباء يضعون أبناءهم تحت حماية معبد الآلهة المصرية، وعلى رأسها "أوزيريس". (هورنوج، أ.، 279.)

وبالرغم من أنه لا توجد أدلة تثبت أن هذه المعبودات كانت تحظى بالتبجيل والتوقير بشكل رسمي في قرطاجة، لكن يمكن أن تكون عبادة "أوزيريس" قد حلت بالمنطقة منذ وقت مبكر، ثم فيما بعد في القرن الثاني والأول قبل الميلاد، حيث وجدت صور "إزيس" (*Isis*)، و"أوزيريس" (*Osiris*)، و"نفتيس" (*Nephtys*) ممثلة على بعض النقود في فترة سابقة للسيطرة البونية، عثر عليها في منطقة "كوسورا" (*Cossura*) بجزر "بونتيليريا" (*Pantelleria*). (Gsell S. 1920 :121) كما تم العثور على نقود أخرى تمثل الإلهة "إيزيس" أو "عشتارت" في "إيزيس" في صبراتة (*Sabratha*)، وثاناي (*Thanae*)، ومدن أخرى في المغرب القديم تحمل ربما صورا للإلهة "سيرابيس" (*Sérapis*). ويبدو أن المعبودات المصرية التي تعود إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد قد احتلت مكانة هامة في الأساطير والخرافات الخاصة بالأفراد أكثر من المعتقدات الشعبية العامة.

د–الإلهة نيت: يرى بعض المؤرخين المحدثين أن بعض علامات الوشم التي وجدت على رسوم الليبيين في النقوش المصرية إنما هي في الواقع رموز دينية. من ذلك أن الوشم الذي على هيئة الصليب، إنما يرمز إلى إله الشمس (عبد العليم، م. 1966: 46) باعتبار الصليب رمزا لأشعتها، وما تزال هذه العلامات توجد بين القبائل البربرية حتى اليوم. وأن بعض العلامات الأخرى كانت تشير إلى الإلهة "نيت" (*Neith*) التي امتدت عبادتها إلى منطقة الدلتا الغربية في مصر في القرن 14 ق.م، (Gsell S. 1955 :188) وهي إلهة مدينة "سايس" (*Sais*) التي ألحقها بعض الكتاب المحدثين بأثينا الأوزية " نسبة لقبيلة الأوزاس *Auzes* الليبية". (Cumont F. 1929 :113)

توحي الآراء السابقة أن الإلهة "نيت" كانت أما عظيمة للطبيعة تتصف بالعذرية، وهذه الصفة هي التي حملت الإغريق على اعتبارها أثينا (*Athéna*).

2– المعبودات الفينيقية– البونية : أخذ المغاربة القدماء عن الفينيقيين، بعد المصريين، عبادة آلهة كبرى، من هذه الآلهة التي كانوا يدخلونها في قوى الطبيعة :

أ–الإله بعل حمون: اتخذ النوميديون الإله الفينيقي بعل (*Ba'al*) إلها، ولكن الاعتقاد الراجح أنهم ما كانوا ليتقبلوه بهذا القدر من الرضا لو لم يشخصوه مع آمون (*Ammon*). (Gsell S. 1920 :144) بل وإذا كان بعل حمون (*Ba'al Hammon*) هو المعبود الأكبر في قرطاجة، فلأن الفينيقيين الذين جاؤوا به من آسيا ربما قد وجدوه في آمون هذا، ولأنهم رأوا فيه أحسن من يحميهم في إفريقيا التي هو ربها. (Ferjaoui A. 1992 :466-467) وكانوا يكنون له الشعور بالعظمة والامتنان ويطلبون منه الخلاص والحماية.

فقد عثر على نقش في "ماصوب" (*Masoub*) في منطقة صور بفينيقيا يحمل الأحرف "ب ع ل ح م ن" (*B'L HMN*). وقد ذكر اسم الإله "بعل حمن" أو"بعل عمن" بشكل واضح بحيث يحل حرف "ع" مكان "ح" وهو أمر مألوف في اللغة السامية، ذكر لأول مرة في إحدى النقوش التي عثر عليها خارج فينيقيا بمنطقة "زنجرلي" (*Sendjirli*) شرق خليج الإسكندرونة (*Alexandrette*) تعود إلى القرن التاسع ق.م. (الفرجاوي، أ. 1993: 166)

ب–الإلهة تانيت: تعتبر تانيت إحدى أكثر آلهة قرطاجة شهرة، فقد برزت منذ القرن الخامس قبل الميلاد في النصوص النذرية البونية، وقد أثارت هذه الظاهرة جدلا بين المؤرخين فبرزت عدة افتراضات رئيسية منها:

أن الإلهة "تانيت" (*Tanit*) "ت.ن.ت" التي عبدها الليبيون لا يزال تفسير اسمها غامضا حتى الآن، وقد قدمت عدة افتراضات لتفسير هذا الاسم، إحدى هذه الافتراضات تزعم أن لفظ "تانيت" مشتق من اسم الإلهة "عنات" مع استبدال حرف العين بالحرف السابق اللوبي: التاء، لكن نلاحظ أن اسم عنات دخل في بنية أسماء الأعلام القرطاجية، الأمر الذي يدل على أنها كانت تعبد في قرطاجة، وتبرهن الاكتشافات الحديثة أن تانيت كانت تقدس في الشرق الفينيقي قبل ظهورها في المغرب القديم. فقد ورد اسمها في نقيشة عثر عليها في "سريبتا" (*Sarepta*) بلبنان يعود تاريخها إلى أواسط القرن السادس قبل الميلاد.

ج–الإلهة عشتارت: (*Ashtart*) شهد الشرق الفينيقي والعالم البوني عبادة هذه الإلهة، التي عرفت في أوغاريت (رأس شمرا) باسم "عتترت" (*Athtar*). (Ganneau Ch. 1921 :152) وقد ذكر هذا الاسم في النصوص الدينية أكثر من القصائد الميثولوجية، وانتقلت عبادتها من الساحل السوري – الفلسطيني إلى مصر في بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد، حيث اندمجت مع الإلهة المصرية "سخمت" (*Sekhmet*) وأصبحت مع الإلهة "عنات" (*Anat*) زوجة الإله المصري "ست" (*Seth*).

د–ملقارت (ملقراط): تشير النصوص القديمة إلى أن الإله "ملقراط" (*Melqart*) كان من أبرز آلهة مدينة صور بل هو الإله الرئيس للمدينة، وأصبح في قرطاجة من أكثر الآلهة شعبية – باعتماد الإسامة–حيث يدخل في تركيبة أسماء الأعلام القرطاجية ومنها: "عبد ملقراط"، و"بوملقار"، و"بد ملقارت" (بيد ملقرت). (Bonnet C.,

1989 :31-40) يتركب اسمه من كلمتين: "ملك" وتعني الإله و "قرط" التي تعني المدينة، وبذلك يكون معنى الاسم "ملك المدينة" أو سيدها. وتوحي أغلب المصادر أن عبادة الإله ملقارت قد ترسخت في العاصمة البونية ترسيخا كبيرا. ولقد قدمت افتراضات كثيرة حول طبيعة هذا الإله وصفاته: فهو إله الشمس والنباتات والبحر. (Fantar M.H. 1977 :105-109)

هـ–الإله أشمون: يعد الإله أشمون (*Eshmun*) الإله الرئيس في مدينة صيدا اللبنانية، ورغم كل المحاولات التي قدمت لتفسير معنى أشمون فإنها تبقى غير مقنعة، فمثلا: فسر الاسم على أنه مشتق من الكلمة العربية "سرمون" أو "سمان" أو "سمانة" المشتقة بدورها من فعل "سمن".

ويرى بعض المؤرخين أنه مشتق إما من كلمة "شلمان" مع إدغام حرفي اللام والنون، وإما من لفظ "إشم" ويعني "اسم"، أو من لفظ "شمن" ويعني الزيت، ثم تطور المعنى ليصبح الشفاء، نظرا لما يتمتع به هذا السائل من خاصيات استشفائية معروفة. (الفرجاوي، أ. 1993: 166) ويستدل من اسمه على أنه كان إله الشفاء، إضافة إلى كونه إله الخصب، حيث كان في أصله إلها أرضيا يتصل بالحياة الزراعية، وحامي المدينة مثل ملقارت.

و– الإله بعل إدير: ورد ذكره في أقدم نقيشة تعود إلى القرن الرابع ق.م، وقد اكتشفت بمدينة جبيل (*Byblos*) بالساحل الفينيقي (اللبناني) كإله ثالث إلى جانب بعل شمم وبعلات جبيل وكانت عبادته منتشرة في المستعمرات الفينيقية. (كارلهاينز ب.، 1999: 149) كما ذكر اسمه عدة مرات في نقوش معبد الحفرة البوني بقسنطينة، إما بمفرده وإما مع الآلهة تانيت بني بعل. (Berthier A. & Charlier R., 1952 :6, 8) وتحيل في هذه الحالة مكان الإله بعل حمون. وقد أهديت له حسب النقيشة الأولى أربعة مباخر للحيوانات والحبوب، والمرطبات والعطور، مما يدل على أنه كان إله الفلاحة. (Chabot J.B., 1916 :461) ويعتقد س. غزال أن بعل إدير ما هو إلا أحد الأسماء المرادفة لبعل حمون، ولا يختلفان إلا في الاسم فقط. هل يفهم من عبارة: « إلى الرب (السيد) بعل إدير» الذي هو بعل حمون أيضا ؟ أن الأمر يتعلق بإله واحد أو إلهين مختلفين؟ رغم كل الشكوك التي دارت حول قضية إله واحد، فإن "بعل إدير" كان يعبد في عدة مناطق في البروقنصلية وفي نوميديا خلال الفترة الرومانية. (Gsell (S. 1920: 296) فقد ذكر في إهداءين باللغة البونية الجديدة عثر عليهما بالقرب من ثيسدروس "*Thysdrus*" "الجم" (*El-Djem*) حاليا، (Dussaud R. 1914 : 618-620) وسيكا فينيريا (*Sicca Veneria*) "الكاف حاليا" بتونس. (Chabot J.B. 1916 :348) وتذكره النقوش اللاتينية التي عثر عليها في سيقوس (*Sigus*) بالقرب من قسنطينة بالشكل الآتي:

Deus Patrius, le Deus Sanctus Baliddir Augustus. (Gsell S. 1920 :296)

3-المعبودات الإغريقية: تذكر النصوص القديمة التي تعود إلى فترة ما قبل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، بعض المعبودات التي عبدها الليبيون، أو كانت توصف بأنها ليبية. وحسب عادة واسعة الانتشار كانت هذه المعبودات تتشخص في آلهة إغريقية أو لاتينية. ومن أبرز الآلهة الإغريقية:

أ-الإله زيوس: (*Zeus*) ذكرت هذه النصوص القديمة أسماء إغريقية ولاتينية أعطيت لمعبودات عبدها وقدسها فينيقيوا الغرب، وقد اعتاد الإغريق والرومان أن يطلقوا أسماء آلهتهم على الآلهة الأجنبية. ولنا في ذلك أمثلة عديدة ذكرها كل من هيرودوت ويوليوس قيصر (*J.César*) وتاسيت (*Tacite*). ويتبع ذلك أنها آلهة قرطاجة-بحجة ترجمة أسمائها الإغريقية أو اللاتينية-غدت مشابهة لآلهة جبل الأولمب (*Olymp*) أو الآلهة الرومانية. (كوريبوس، 1988: 145) وهكذا طابقوا بعل حمون مع كرونوس ساتورن، بسبب أن الإله القرطاجي كان يمجد بتضحيات طقسية يقدم فيها الأطفال كقرابين، وأن الإله الإغريقي إلتهم ذريته بنفسه حسب ما رواه ديودور الصقلي. (Diodore de Sicile, XX : 14, 7)

ب-الإلهة أثينا: هي الإلهة العذراء عند الإغريق، ربة الحكمة والحرب والزواج والفكر والفنون، ابنة الإله "زيوس" (*Zeus*) ولدت من رأسه، وتعتبر راعية مدينة أثينا، وتدعى أيضا بالاس (*Pallas*)، كانت تصور في عدة حرب كاملة تحمل غصن زيتون وبجانبها حية. ويعتقد أن غصن الزيتون والحية إشارة إلى عبادة قدماء اليونان للأشجار والحيات. (خشيم ع.، 2004: 39) وقد ماثلها الرومان لآلهتهم منيرفا (*Minerva*). (مكاوي ف.، 1980: 65)

انتقلت عبادتها إلى لوبة، وحسب هيرودوت فإن الليبيين الذين يعيشون حول بحيرة تريتونيس (*Tritonis*) كانوا ينحرون القرابين لأثينا على الخصوص. (Hérodotus, IV, 188) وهكذا يتضح أن الإلهة أثينا كانت إلهة الدولة وضامنة العدالة والقوانين، توفر الأمن والازدهار للبلاد فهي التي اخترعت أدوات الزراعة، كما كانت تسهر على وفاق الأزواج وشرف الأسر، كما كانت إلهة الحكمة ترعى الفن والأدب، وقد ماثلها الرومان بإلهتهم منيرفا (*Minerva*).

ج-الإله بوسيدون: يمثل الإله بوسيدون (*Poséidon*) إله البحر، (Bonnel M. 1915 :177) وله سلطان على الرياح والعواصف والزلازل، وهو ابن الإله كرونوس وهيرا ربة الزواج والأسرة، وأخا للإله زيوس. (Dahmani S. 2003 :128-129) وحسب هيرودوت فإن الليبيين الذين كانوا يعيشون حول بحيرة تريتونيس (السرت الصغير) لم يكونوا ينحرون القرابين إلى أثينا فحسب، ولكن إلى بوسيدون أيضا. (Hérodotus, IV, 188)

وقد جعل هيرودوت من بوسيدون أبا للإلهة أثينا، ويشير في فقرة أخرى: « أن الليبيين كانوا يعبدون بوسيدون وتريتون، وهم الذين عرفوا بوسيدون إلى الإغريق، منذ البداية كان الليبيون وحدهم دون سواهم هم الذين وجد بينهم اسم بوسيدون، وكانوا يعظمون دائما هذا الإله.» (Hérodotus, II, 50) لكن لاشيء يدعم فكرة القول بأن المغاربة القدماء قد تلقوا هذين المعبودين من الفينيقيين. ولنا أن نتساءل: هل كان الإله الإغريقي بوسيدون ذو أصل ليبي؟

4–المعبودات الرومانية: عبد المغاربة القدماء عددا من الآلهة اللاتينية، كما تم أفرقة بعض الآلهة البونية خلال الفترة الرومانية في المغرب القديم، ومن أبرزها:

أ–ساتورنوس: (*Saturnus*) يعتبر الإله ساتورنوس "زحل" الروماني، إله السماء والزمن، فكان من الطبيعي أن يكون خفيا ولا يقهر (*Invictus*)، وهذا هو اللقب الخاص بإله الشمس مما يجعله أكثر قربا منها. (Leglay, M. 1966:256) وبتقديمه على أنه الشمس، فإن ماكروب (*Macrobe*) اتبع هذا الاتجاه. (Macrobe, 1875: I, 22) فالآلهة الوثنية بالنسبة له كلها عبارة عن أقانيم شمسية. فقد كان المغاربة القدماء خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد على ما يبدو، يولون عناية خاصة لعبادة الشمس (*Héliolâtrie*)، باستثناء بعض المناطق مثل: مكثر (*Mactar*) وألثيبوروس (*Althiburos*). (Leglay M. 1966:257)

ب–الإله جوبيتر(*Jupiter*): يعتبر الإله جوبيتر "المشتري" من أقدم وأكبر الآلهة الرومانية، وهو في نظر الرومان رب الأرباب والبشر، والضوء والسماء والزمن والرعد والصواعق والمطر، يتحد في العبادة – غالبا–مع ساتورن وهو استنساخ للإله القرطاجي بعل حمون، والإله الإغريقي زيوس. (Leglay M. 1966:231-233) ويشكل الإله جوبيتر مع جونون (*Junon*) زوجته الملكة وابنته مينرفا (*Minerve*) (Leglay M. 1966:242) ثالوث الآلهة التي كانت تعبد في الأصل على قمة ربوة الكابيتول (*Capitole*) ومنذ عصر الملوك الأتروسكيين وهو مسيطر على مجمع الآلهة حاملا لقب "الأفضل والأعظم" وارتبط اسم جوبيتر بعد ذلك على نحو فريد بمصير روما.

ج–الإلهة كيريس: (*Cérès*) الإلهة كيريس أو سيراس، هي إلهة الأرض وإلهة القمح في أساطير الرومان، وهي الأم المشرفة على الزراعة وابنة الإله ساتورن وأخت جوبيتر وبلوتون (*Pluton*)، والإله ليبر (*Liber*) إله روماني قديم اتحد فترة مع الإله الإغريقي باخوس (*Bacchus*) أو الإله ديونيسوس (*Dionysius*)، وليبرا (*Libera*) وهي ابنة كريس وأخت ليبر، وهي أحيانا إريان زوجة باخوس أو الإلهة برسيفون (*Perséphone*) عند اليونان. (بارندر ج.، 1993: 326)

وكانت الإلهة كيريس تسهر على زراعة القمح وازدهار الفلاحة وسائر النباتات الأخرى، لذلك وصفها بلين القديم: «بأن الطبيعة وهبت كيريس كل أرض لإفريقيا، أما الزيت والخمر فقد اكتفت بألا تمنعها عن هذه البلاد، وأن تضمن لها العزة والمجد عن طريق الحصاد». (Pline L'Ancien, XV, 8)

د-الإله أسكولابيوس: (*Aesculapius*) الإله أسكولابيوس (*Aesculapius*) هو إله الطب والشفاء عند الرومان، وهو نفسه الإله "أسكليبيوس" (*Asclépius*) عند الإغريق، ابن الإله زيوس (*Zeus*) وعروس البحر "كورونيس" (*Coronis*)، كان بارعا في فن الشفاء، خشي أبوه زيوس أن يجعل الناس خالدين فقتله بصاعقة، وهو والد "هيجيا" (*Hygieia*) إلهة الصحة عند اليونان. (بارندر ج.، 1993: 321)

وتشير بعض المصادر الكلاسيكية إلى أن الإله أسكولابيوس يمكن أن يماثل الإله الفينيقي "أشمون" (*Eshmoun*) إله مدينة صيدا (*Sidon*) في الساحل الفينيقي، حسب ما أشار إليه المؤرخ الاغريقي سترابون. (Strabon, XVII, 3, 14) وهو ما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد أن هذا الإله اعتبر من قبل القرطاجيين بمثابة الإله الشافي. وقد يساوي في وظيفته الإله الليبي "ماكورغوم" (*Macurgum*)، وعثر على العديد من التماثيل للإله أيسكولاب في "أماديرا"حيدرة (*Ammaedara*) بالقرب من تبسة، (Appien, 1912 :130) وأقيم له معبدا عظيما في موقع قمة تل بيرصة (*Byrsa*) بقرطاجة في تونس. وكان المعبد واسع المساحة ومحاط بسور ويتسع لمئات من العباد والمريدين. (Titus livius, 1869: XLI, 22)

هـ-الإلهة كايليستيس: (*Caelestis*) كانت الإلهة كايليستيس بلا ريب، سيدة القمر. هل هذه السيادة ورثتها عن تانيت؟ هذا هو الاعتقاد الأرجح حتى في غياب الأدلة والبراهين غير القابلة للدحض. فإذا كانت تانيت بني بعل على ما يبدو، إلهة خاصة بقرطاجة، يمكن أن نفترض أنها اقتبست من بعض المعبودات الأهلية. (Gsell S.1920: 251)

والحال أن المؤرخ الاغريقي هيرودوت أكد في القرن الخامس ق.م. أن كل الليبيين كانوا يعبدون القمر في نفس الوقت مع الشمس. (Hérodotus, IV, 188) يجب إذا أن نقر بأن الاسم المستعمل عادة للدلالة على تانيت بني بعل لم يكن "أوبس" (*Ops*) ولا "نوتريكس" (*Nutrix*) وإنما كان

"كايليستيس"، وبهذه الصفة التي أخذت كالاسم، كان الرومان يشيرون إلى إلهة ذات أصل فينيقي. (Hérodien, V, 6, 4) والتي أصبحت فيما بعد الإلهة الرئيسية في "قرطاجنة" قرطاجة الجديدة (*Carthagenna*)، وتلقى الاحترام في المغرب القديم. (Tertullien, 1914: 24) ويلاحظ التناقض بين الكتابات البونية التي تصف تانيت بني بعل "بالأم" والنصوص اللاتينية التي تنعتها بالإلهة العذراء (*Virgo Caelestis*). (Apulée, 1836: VI, 4)

و–الإله أبولون: (*Apollon*) يعد الإله الإغريقي "أبوللو" (*Apollo*) أو"أبلو" الاسم القديم له، أو "أبولون" (*Apollon*) إله متعدد الوظائف في الأساطير اليونانية، كان تأثيره قويا بين الآلهة يجعل الناس يدركون خطاياهم ويطهرهم منها. (بارندر ج.، 1993: 326) ولهذا سمي أحيانا "فوبوس أبوللو" (*Phoebus Apollo*) أي "أبوللو" المطهر، وهو لقب الإله "أبوللو" عند اليونان ويعني المنير أو المضيء. (Corippus, 1899: 31-39) وهو ابن الإله "زيوس" (*Zeus*) و"ليتو" (*Leto*) وشقيق "أرتميس" (*Artémis*). (Gustave M. 1900 :177-193) ويلاحظ أن اسمه المزدوج "فوبوس–أبوللو" كان مثيرا للخلاف، فهو إله الشفاء وإله الشمس، كان المركز الرئيسي لعبادته مزدوجا أيضا، فهو يوجد في جزيرة "ديلوس" (*Délos*) و"دلفي" (*Delphy*).

ولقد أشرف في العصور الكلاسيكية على الثقافة أيضا بمعناها الواسع: الموسيقى، والأدب، والفكر. (بارندر ج.، 1993:53) وقد ذكر "أبولون" في القسم المشهور الذي أدلى به "هانيبال" القائد القرطاجي في معاهدة التحالف مع "فيليب الخامس" ملك مقدونيا سنة 215 ق.م. (Polybe, VII, 3, 9) وكان للإله "أبولون" عدد من المعابد في المغرب القديم أشهرها معبدي "بولا ريجيا" (*Bulla Regia*) حمام الدراجي ، ومكثر (*Maktar*) بتونس خلال الفترة الرومانية. (Merlin A.1908 :17-18) كما وجدت معابد أخرى للإله أبولون في قرطاجة بالقرب من الساحة العامة، بين الميناء وربوة بيرصة (*Byrsa*)، ومعبد آخر في أوتيكا (*Utique*). Maxime -Valère V. (1841 : I, 1,18) وحسب ما ذكره بلين القديم، فقد أقيم له هذا المعبد في أواخر القرن الأول الميلادي من طرف المعمرين الأوائل. (Pline l'Ancien, XVI, 216) وحسب النصوص الإغريقية واللاتينية فإن رأس سيدي علي المكي قرب أوتيكا كان يسمى قديما رأس أبولون، أو رأس الإله

الجميل (*Promunturium Pulchri*)، والذي يقع شمال خليج قرطاجة. (Titus Livius, 1869: XXIX, 27, 2)

يتضح مما سبق أن مجال عبادة الآلهة الرومانية في المغرب القديم كان يشمل الرومان الذين حلوا بالمنطقة كمستوطنين، والمغاربة الذين ترومنوا، ثم بقية سكان إفريقيا الذين تأثروا بسياسة الرومنة دون أن يستطيعوا مقاومتها، إضافة إلى بقية المعبودات المحلية التي تدخل في الموروث الحضاري الليبو-نوميدي.

خاتمة: خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات نوجزها فيما يأتي:

-كان الإنسان المغاربي القديم يتعامل مع فكرة الطقوس الخاصة باستدرار المطر والمعتقدات التي تدور حولها من حيث غضب الآلهة وعقابها لعبادها بالجفاف. لذلك وجب عليهم إظهار خضوعهم أمام قوة تلك الآلهة.

-كان الملك بالنسبة لسكان المغرب القديم، كان قبل كل شيء قائدا حربيا، يتحكم بصفة أو بأخرى في مجموعة من القبائل بفرض سيطرته الكاملة، وعلاوة على ذلك فقد أصبح على ما يبدو شخصية مقدسة.

-حظي الملوك النوميد خاصة الأموات منهم بنوع من التقدير والاحترام من طرف الأحياء، ومن بعض الممارسات التي ذكرها الكتاب القدامى ونستشف من النقوش والعمارة الجنائزية، التي كان المكانة التي كان يتمتع بها هؤلاء، فعملية الدفن وما يرتبط بها من طقوس تعتبر تقديرا لهؤلاء الأموات.

-إن الشعور الديني عند المغاربة القدماء شعور قوي، ولكن ملكة الابتكار عندهم تتحرك في حدود ضيقة. فقد استعاروا الآلهة الكبرى التي عبدوها بإخلاص. فتلك المعبودات الوثنية يمكن أن تكون دليلا على شعبيتها وتجذرها وعراقتها بين سكان المغرب القديم.

-تؤكد الرسوم الصخرية المماثلة لتلك التي وجدت في الجنوب الوهراني، والجنوب الجزائري، وشرق قسنطينة سعة انتشار عبادة الكبش في المغرب القديم. أما أن تكون هذه العبادة قد أقيمت أمام هذه الرسوم التي وجدت على الصخور فهذا ما يدعو إلى الشك والريبة.

-ترتبط الطوطمية ببعض الممارسات الطقوسية التي ذكر بعض الكتاب القدامى وجودها عند بعض الشعوب في شمال إفريقيا. ومنها تعدد مظاهر تقديس الحيوانات كالقردة والأسود والثعابين والأفاعي. ونستنتج أن هذه المعتقدات الوثنية الراسخة في تقاليد سكان المغرب القديم.

-كان سكان المغرب القديم، يعتقدون خلال الفترة الرومانية، أن تعبدهم في مناطق مرتفعة أو في باطن الأرض كان يقربهم إلى الله أكثر، وكانوا يعتقدون أيضا أن لكل مكان له مستجنه، ولذلك أقاموا الأضرحة والمصليات لشهدائهم في الأماكن التي استشهدوا فيها.

-توحي النصوص القديمة أن جبال الأطلس إضافة إلى تقديسها، فقد كانت محل احترام الليبيين من الأطلنتيين أو الأطلسيين، نتيجة شدة ارتفاعها الذي يصعب معه رؤية قممها. واعتقادهم أنها مساكن الآلهة.

-يبدو أن المغاربة القدماء كانوا قد قدسوا الكهوف والمغارات حسب ما ذكره سيناك (*Sénèque*)، مع غياب إثبات وجود إله الكهوف حاليا.

-حاول مؤرخو المدرسة الكولونيالية ترسيخ فكرة أن الإنسان المغاربي القديم عاجز عن أي إبداع فكري أو ديني. والحقيقة أن هذا الإنسان في غير حاجة لاستيراد معتقدات تتعلق بنشاطه الفلاحي، كما لا ننكر أن هناك تمازج بين المعتقدات الليبية المحلية والمعتقدات الوافدة، لكن تبقى المعتقدات المحلية دائما هي الأصل.

بيبليوغرافية البحث:

أولا-المصادر باللغة العربية:

1. -هيرودوت، (1966)، هيرودوت يتحدث عن مصر، تر. محمد صقر خفاجة، القاهرة، دار القلم.
2. كوريبوس، (1988)، ملحمة الحرب الليبية-الرومانية، ترجمة محمد الطاهر الجراري، طرابلس.

ثانيا-المصادر باللغة الأجنبية:

3. Appien, (1912), *Histoire romaine*, Lib. 130, trad. Par H. White, London.
4. Aurélius Victor, (1816), *Vies des empereurs Romains*, par M.N. Dubois, Paris Panckoucke.
5. Apulée, (1836), *Métamorphoses*, trad. Par V. Bétoloud, Paris.
6. Corippus, (1899), *Johannide*, trad. Alix, édi. R.T., (pp. 31-39).
7. *Corpus Inscriptionum Latina*rum VIII, (1942-1959), Inscriptiones Africae Latinae, Indices, Berlin.
8. Diodore de Sicile, (1865), *Bibliothèque Historique*, trad.par Ferd. Hoefer, 2e édit., Paris, Hachette.
9. Firmicus Maternus, (1843), *de l'erreur profane des religions*, IV, Paris, société du panthéon Littéraire.

10. Hérodien, (1860), *Histoire Romaine*, trad. Léon Halévy, Paris, Firmin Didot.
11. Hérodotus, (1870), *Histoire d'Hérodote*, trad. de Larcher, Paris, charpentier.
12. Macrobe, (1875), *Saturnales*, I, trad. M. Nisard, Paris, Firmin Didot.
13. Pline l'Ancien, (1980), *Histoire Naturelle*, XV, Trad. Par Jehan Desanges, Paris, les Belles lettres.
14. Polybe, (1847), *Histoire Romaine*, trad. Félix Bouchot, Paris, charpentier.
15. Sénèque, (1861), *Lettres à Lucilius*, XLI, trad. Par J. Baillard, Paris.
16. Silius Italicus, (1836), *Les Guerres Puniques*, trad. Par E. Corpet et N. Dubois, Paris, Panckoucke.
17. Strabon, (1867), *Géographie*, trad., Amédée Tardieu, Paris, éd. Hachette.
18. Tertullien, (1914), *Apologétique*, trad. J.P.Waltzing, Paris, Bloud et Gay.
19. Titus livius, (1869), *Histoire Romaine*, trad., M. Nisard, Paris, Firmin Didot.
20. Valère- Maxime, (1841), *Œuvres* (2vol.), trad. par constant, Paris, Panthéon Littéraire.

ثالثا–المراجع باللغة العربية:

21. أعشي، مصطفى، (2009)، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة.
22. الفرجاوي، أحمد، (1993)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، تونس، المعهد الوطني للتراث.
23. بورونية، الشاذلي، وطاهر محمد، (1999)، قرطاج البونية تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، مكتبة الإسكندرية.
24. حارش، محمد الهادي، (1992)، التاريخ المغاربي القديم (السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة.
25. خشيم،علي فهمي، (2004)، سفر العرب الأمازيغ، (معجم عربي –بربري مقارن)، ط 1، بنغازي، دار الكتب.
26. عبد العليم، مصطفى كمال، (1966) ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، المطبعة الأهلية.
27. عبد اللطيف، أحمد علي، (1960)، مصر والإمبراطورية الرومانية، القاهرة.
28. عيساوي، مها، (2009)، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، ط 1، الجزائر، مطبعة جسور.
29. مكاوي، فوزي، (1980)، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته منذ أقدم العصور حتى عام 322 ق.م، ط1، الدار البيضاء، دار الرشا الحديثة.
30. نعيم، فرح، (1972)، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق، دار الفكر.

31. كارلهاينز، برنهردت، (1999)، لبنان القديم، ترجمة ميشال كيلو، ط1، دمشق، قدس للنشر.

32. هورنوج، أريك، (د.ت.)، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعددية، ترجمة محمود ماهر، مصر، مطبعة مدبولي.

رابعا–الدوريات:

33. بارندر، جفري، (1993، مايو)، المعتقدات الدينية لدى الشعوب البدائية، مجلة عالم المعرفة، (173)، 69-87.

34. غانم، محمد الصغير، (1980)، نقيشة ميسيبسا الأثرية، مجلة سيرتا، (4)، 2-14.

خامسا–المراجع باللغة الأجنبية:

1–الدوريات:

35. Basset (H.), (1922), *Les rites du travail de la laine à Rabat*, Hespéris, (pp. 139-160).

36. Basset (R.), (1910), *Recherches sur la religion des Berbères*, R.H.R., Paris, Ernest Leroux, I, (pp.1-52).

37. Bel, A., (1905), *Quelques rites pour obtenir la pluie*, Recueil de mémoires, XIV^{e} congrès des orientalistes, Alger, école des lettres, (pp.49-98).

38. Bosco (J.), & Solignac (M.), (1911), *notice sur les vestiges préhistoriques du Khroubs*, R.S.A.C., XLV, (pp. 319-346).

39. Chabot (J.B.), (1916-1918), *Punica*, extrait du J.A., 11-12, (pp. 208-218).

40. Destaing, (1905), *L'Ennâyer chez les Beni Snous*, R.Af., XLIX, (pp. 56-70).

41. Dussaud (R.), (1914), *Inscriscription. Néo punique de Bir- Tlelsa*, B.A.C., (pp. 618- 620).

42. Gsell (S.), (1899), M.E.F.R., XIX, (pp. 63-75).

43. Gustave (M.), (1900), « *les divinités libyques* », R.S.A.C., pp. (177-193).

44. Laoust, E., (1921), *Noms et cérémonies des feux de joie chez les Berbères du Haut et de l'Anti-Atlas*, Héspéris, pp. 3-66.

45. Vars (M.Ch.), (1901), *Inscriptions découvertes à Timgad en 1901*, R.S.A.C., XXXV.

2-الكتب:

46. Bates, Oric, (1914), *The Eastern Libyans*, London, Macmillan & Co. Limited, St.Martin.
47. Berthier (A.), & Charlier (R.), (1952), *le Sanctuaire punique d'EL-Hofra à Constantine*, Paris, Arts et métiers graphiques.
48. Cagnat (R.), & Besnier, (1903), *l'Année épigraphique*, n° 145.
49. Camps (G.), (1961), *Aux origines de la Berbérie, Monuments et rites funéraires,* Paris.
50. Camps (G.), (1980), *Berbères aux marges de l'histoire*, Paris, éd. des Hespérides.
51. Decret (F.), et Fantar (M.), (1981), *L'Afrique du Nord dans l'Antiquité,* Paris, Payot.
52. Doutté, E., & Marçais, W., (1909), *Magie et religion dans l'Afrique du Nord,* Alger.
53. Fantar (M.H.), (1977), *le dieu de la mer chez les Phéniciens et les puniques,* Rome.
54. Ferjaoui (A.), (1992), *Recherches sur les relations entre l'Orient Phénicien et Carthage*, Tunis.
55. Flamand (G.B.M.), (1921), *les pierres écrites (Hadjrat Mektoubat), Gravures rupestres et inscriptions du nord-africain*, Paris.
56. Gsell (S.), (1913-1928), *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord,* (t. I, IV, VI), Paris, Hachette.
57. Gsell (S.), (1922), *Inscriptions Latines d'Algérie*, t.1, Paris.
58. Gsell (S.), (1955), *Hérodote, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord*, Alger.
59. Laoust, E., (1920), *Mots et choses Berbères*, Paris.
60. Leglay (M.), (1966), *Saturne Africain, Histoire*, Paris, édition de Bocard.
61. Leglay (M.), (1966), *Saturne Africain, Monuments, II, Numidie-Maurétanie*, Paris, centre national de la recherche scientifique.
62. Masqueray (E.), (1879), *Comparaison du Vocabulaire des Zenagas*, Paris, Archives des missions Scientifiques.
63. Mercier (G.), *Les divinités libyques*, Constantine, S.D.
64. Merlin (A.), (1908), *le Temple d'Apollon à Bulla Régia*, Paris.

65. Picard (G.Ch.), (1954), *les religions de l'Afrique antique,* Paris,Typographie Plon.
66. Picard (G.Ch.), (1975), *Castellum Dimmidi,* Paris, éd. de Bocard.
67. Toutain (J.), (1920), *les cultes païens dans l'Empire Romain*, Paris, édition des hautes études et sciences religieuses.
68. Van Gennep, *l'Etat actuel du problème totémique*, pp.21-25.
69. Westermarck, M., (1913), *Ceremonies and beliefs connected with Agriculture, certain dates of the solar, year and the Weather in Morocco*, Helsingfors.
70. Westermarck, M., (1921), *Cérémonie du mariage en Maroc*, trad. Arin, Paris.